قصة سيدنا صالح عليه السلام

سبب التسمية بثمود:

ذكرنا في قصة سيدنا هود عليه السلام أن الله أباد قبيلة عاد كلها وعاش سيدنا هود عليه السلام والمؤمنين معه، وجاءت بعدهم قبيلة أخرى تسمى: ثمود، وكلمة ثمود من ثمد، والثمد: هو الماء القليل؛ لأنهم كانوا يسكنون في أرض قليلة الماء فسميت القبيلة ثمود من الثمد نسبة لقلة الماء، ، وثمود هذا هو جدهم الأكبر يعني: ليس شرطاً أن يكون ثمود هذا هو الذي كان يعيش مع سيدنا صالح، وإنما ممكن أن يكون لقب القبيلة ثمود، وسكنت هذه القبيلة في منطقة تسمى: الحِجْر، وهو مكان معروف إلى الآن باسم مدائن صالح، وما زالت آثارهم موجودة وتزار إلى الآن.

أين مكان مدائن صالح؟

كان مكانهم في شمال الجزيرة العربية بينهم وبين المدينة ثلاثمئة وثمانون كيلو متراً شمال غرب المدينة، وهناك سورة في القرآن تسمى: سورة «الحجر»، ذكرنا أنّ في القرآن سورتين بأسماء الأماكن التي كانت تعيش فيها قبيلتا عاد وثمود، والسورتان هما: «الأحقاف والحجر»، فقوم هود يعيشون في الأحقاف، وقوم ثمود يعيشون في مكان يسمى: الحجر.

منتهى الدقة:

إنكم ستلاحظون شيئاً غريباً جداً، ستجدون أحياناً أن القرآن يكلمنا عن معلومات تاريخية، يتكلم عنها بمنتهى الدقة، وأحياناً يغفل عن معلومات كأنها غير موجودة، ما الهدف أو ما الغاية؟

القرآن هو كتاب الله، فالمعلومات التي غفل عنها القرآن لن تفيدنا، فالقرآن لا يحكي معلومة أو يخفيها إلا إذا كان فيها فائدة.

على سبيل المثال: بعض قبور الأنبياء لا نعرف مكانها، بخلاف قبر النبيّ ﷺ فالكل يعرف مكانه، الحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يشغل الأمم كلها بنبيه الخاتم، فحدد لك مكانه بدقة وأخفى عن البشرية أماكن باقي الأنبياء الآخرين.

يحكي لك الله أسماء أنبياء ويسمي لك خمسة وعشرين اسماً في القرآن، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164]؛ لأنك لن تستفيد من معرفتهم.

تعلموا هذا المنهج أيها الأحبة، وهو أن ما يذكره القرآن فيه فائدة وما لم يذكره فليس منه فائدة.

فهو هنا حدد مكان الأحقاف وحدد مكان الحجر، لكن أين المكان الذي أغرق فيه قوم نوح؟ لا نعرف.

آثار المعاصي:

ولقد حدد لك هذه الأماكن؛ لأن آثارهم ما زالت باقية، ليقول لك: انظر لهذه الدلائل واعرف ماذا حدث لهؤلاء الناس لما غضب الله عليهم، ولذلك يا إخوتي الجزيرة العربية، كانت أصلاً أرضاً مزروعة، كانت أرضاً خضرة، وكانت تجري فيها الأنهار، فلما عصت هذه القبائل تحولت إلى صحراء جرداء، فانظروا للمعنى كأن الله يقول لك: هذه آثار المعصية، فسأسمي لكم سورة باسم «الأحقاف»؛ لأنك كلما سمعت هذه السورة قلت: يا خوفي من آثار المعاصي.

إغفال عاد وثمود من التوراة:

أرسل إلى ثمود سيدنا صالح عليه السلام، وسيدنا صالح جده الخامس ثمود، وثمود هذا ابن عاد، التي هي قبيلة سيدنا هود عليه السلام، وعاد جده الرابع سام، وسام بن نوح، وبالتالي فسيدنا صالح جده الكبير من سيدنا نوح عليه السلام، وسيدنا صالح من الأنبياء والعرب، قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر، الأنبياء من العرب أربعة: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر**»[1]، وهنا نقطة عجيبة! لا يوجد كتاب سماوي من الديانات الأخرى ذكر قصة عاد وثمود إلا القرآن، يعني: باقي الأنبياء ذكروا في التوراة كثيراً، إلا سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام.

عجيب أمر اليهود لم يثبتوا أبداً، بعدما حرفت التوراة لم يذكر فيها هود وصالح؛ لأنهما من الأنبياء العرب، مُسِحَتْ قصصهم من التوراة لمجرد أنهما من الأنبياء العرب، ما هذه الغيرة؟ ربما تقول: هم لم يعرفوهم، لا، هذا سيدنا موسى بنص القرآن كان يتكلم عن هذين النبيين كثيراً، إذن سيدنا موسى عليه السلام كان يعرفهم، مما يبرهن أن سيدنا موسى ذكرهما في التوراة، إذن فمن المؤكّد أنهم حذفوا من التوراة بعد التحريف، انظر الدليل: يقول الله

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

تبارك وتعالى على لسان سيدنا موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ [إبراهيم: 8]، ويقول أيضاً: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [إبراهيم: 8، 9]، هذا على لسان سيدنا موسى عليه السلام، إذن حذفت أم لم تحذف؟ وحذفت فقط لمجرد أنهما من الأنبياء العرب، حذفت لوجود قصة عاد وثمود، ولأنهم لا يريدون أن يكون هناك خبر إلا من ولد إسحاق، وينكرون أي خير ينسب إلى غيرهم.

نبي آخر الزمان أطل زمانه:

وهذا ليس عليهم بغريب فقد فعلوها مرات، ومن هذه المرات ما فعلوه مع النبيّ ﷺ، فاليهود في المدينة كانوا يعلمون أن نبي آخر الزمان أطل زمانه، لكن لم يكونوا واثقين أنه سيكون من العرب أم من اليهود، بل كان عندهم شبه يقين أنه سيكون منهم؛ لأن كل الأنبياء الذين أتوا قبل النبيّ ﷺ أتت من عندهم فقالوا: النبي الخاتم سيكون من عندنا، كان عندهم يقين بهذا، والتوراة كان فيها كل صفات النبي إلا صفة واحدة، وهي أنه سيكون من العرب، فكل الصفات موجودة عندهم، وأخفى الله عنهم هذه الصفة ليفضحوا أنفسهم، فظلوا يقولون في الجزيرة العربية: نبي آخر الزمان أطل زمانه، وكانوا عندما يتشاجرون مع الأوس والخزرج في المدينة، يقولون: أنتم تتشاجرون معنا، إن نبي آخر الزمان سيظهر قريباً وسنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم، انظروا: قتل عاد، إذن هم يعلمون أمر عاد، لكن حذفوها من خبثهم، ولذلك السبب أسلم الأنصار، من الكلام الذي سمعوه من اليهود، أول ما سمعوا النبيّ ﷺ يقول لهم: «**أنا نبي آخر الزمان**»، قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، لماذا؟ لأن اليهود مهدوا لهم الأمر ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31]، فربنا استخدمهم ليكونوا السبب في إسلام أهل المدينة بدون أن يشعروا ـ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ـ فهذه طريقتهم المعهودة، فلما جاء النبيّ ﷺ قالوا: لا ليس هذا هو الذي عندنا في التوراة، ألم تقولوا: أن نبي آخر الزمان أطل زمانه، وهذه هي الصفات التي قلتموها؟ لا، لا، هذا شبهه، هذا ليس هو.

ومات كافراً:

لما وصل النبيّ ﷺ للمدينة جاءه حُيَي بن أخطب ـ رأس اليهود في المدينة وكان حبر اليهود وأكثر اليهود علماً بالتوراة، فكان عالماً بكل صفات النبيّ ﷺ ـ فلما وصل النبي ﷺ المدينة قام وذهب إليه وبدأ يحدق فيه، ثم قال له: أريد أن أنظر بين كتفيك، فسمح له النبي ﷺ أن ينظر فرأى خاتم النبوة موجوداً، فقال للنبيّ ﷺ: أين أبوك؟ فقال له

النبي ﷺ: «مات» فقال له: صحيح، وأين ماتت أمك؟ وأين مات جدك؟ عمك هو الذي رباك أليس كذلك؟ فظل ينظر للنبي ﷺ ثم قام ومشى فقابل أخاه، فقال له أخوه: أهو الذي موجود في التوراة؟ قال: نعم، قال: فماذا تنوي؟ قال: عداوته ما حييت! لدرجةً أنه كان يعامل ابنته السيدة صفية بنت حيي بن أخطب ـ وهي التي تزوجها النبيّ ﷺ بعد ذلك ـ معاملة طيبة فكان يحب ابنته صفية حباً شديداً ويغدق عليها إغداقاً شديداً، وفي التوراة ذكر أن ابنة حبر من كبار أحبار اليهود من زمن النبي ﷺ ستتزوج من النبي ﷺ، وكان يشعر أن هذه الصفات منطبقة على ابنته، فلما بعث النبي ﷺ من العرب تغير، جاءته مرة السيدة صفية تقول: يا أبت، رأيت في النوم رؤيا عجيبة ـ وهي لم تكن أسلمت بعد ـ قال: وما هي؟ قالت: رأيت القمر ينزل من السماء فيجلس في حجري، فقام ولطمها لطمة أسقطت القرط من أذنها، وقال لها: أتطمعين أن تتزوجي نبي العرب؟ هو يعلم أنه الحق، ورغم هذا مات كافراً، ومات شديد العداء للرسول ﷺ، وهو السبب في غزوة الخندق فهو الذي جمع العشرة آلاف ليحاصروا المدينة في غزوة الخندق.

لماذا يا أخي تنساه:

وقوم ثمود أتوا بعد قبيلة عاد مباشرة وعرفوا ما حدث لعاد، وعرفوا أن الله تبارك وتعالى أهلك قبيلة عاد، والأجيال كانت تتناقل هذه الحادثة، تخيل حادثة بينك وبينها عشر سنوات أو عشرين سنة! بالطبع الناس كلها تعرف ما حدث، لكن للأسف كفروا مرة ثانية وعبدوا الأصنام، لماذا تفعل البشرية هذا؟ لماذا كلما بعث الله آية عظيمة يكفرون مرة أخرى؟ لماذا يوجد أناس بعيدة بعداً شديداً عن الله ﷻ؟ لماذا يوجد آباء وأمهات يقولون لبناتهم: لا للحجاب؟ ربما تهزك هذه الأسئلة وتقول: لا لن أنساه، لماذا؟ هل لأنه لم ينعم علينا؟ نعمه قليلة فننساه؟ فلننظر إلى أنفسنا لكي نرى نِعَم الله علينا كم هي كثيرة ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53]، إذن نعمه علينا كثيرة، هل تعتقدون أنكم باستطاعتكم الذاتية وقدراتكم أن تُقَوِّموا حياتكم من غير الحاجة إلى الله تعالى، وإن استطعنا هل هذا سبب لكي ننسى الله؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 15]، أنتم فقراء مطلقاً، أنتم فقراء في كل شيء، ليست مسألة مال، أنتم محتاجون له في كل شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: 15 ـ 17].

لماذا لا نحتاج له؟ انظر ماذا يقول الله تبارك وتعالى: «**يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا**

عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطي كل واحد منهم مسألته لما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط -الإبرة- إذا أدخل البحر، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»[1]، هل تستطيع أن تقوم بنفسك وبمفردك بما تريد؟ لماذا إذن تنساه؟ قد تشعر أنه بعيد عنك، وأنك لا تشعر بقربه منك، يأتي رجل إلى النبيّ ﷺ ويقول: يا رسول الله، أبعيد ربنا فنناديه أم قريب فنناجيه؟ فينزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: 16]، لماذا تنساه إذن؟ من أسماء الله تعالى الحسنى «الودود» يعني: الذي يتودد إلى عباده، يقول الله تبارك وتعالى في حديث قدسي: **«عبدي أخرجتك من العدم إلى الوجود، وجعلت لك السمع والبصر والعقل والقلب، عبدي أسترك ولا تخشاني، عبدي أذكرك وأنت تنساني، عبدي أستحي منك أن أعذبك ولا تستحي مني أن تعصاني، فمن أعظم مني جوداً؟ ومن ذا يقرع بابي ولم أفتح له، ومن ذا الذي يسألني فلم أعطه، أبخيل أنا فيبخل عليّ عبدي»**.

لوحة إيمانية

لماذا يا أخي تنساه؟ ألأنك لا ترى دلائل وجوده؟ إنه موجود، اقرأ هذه الأبيات من الشعر وستقول لك كيف أنه موجود وستقول لك: إنه بجانبك، ستقول لك: إنه هو المنعم يقول الشاعر:

لله في الآفاق آيات لعل ... أقلها هو ما إليه هداك
والكون مشحون بأسرار إذا ... حاولت تفسيراً لها أعياك
قل للطبيب تخطفته يد الردى: ... من يا طبيب بطبه أرداك؟
قل للمريض نجا وعوفي بعدما ... عجزت فنون الطب: من عافاك؟

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2495)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4257).

قل للصحيح يموت لا من علة ... من بالمنايا يا صحيح دهاك؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة ... فهوى بها من الذي أرداك
بل سائل الأعمى خطى بين الزحام ... بلا اصطدام من يقود خطاك؟
قل للجنين يعيش معزولاً بلا ... راع أم مرعى من الذي يرعاك؟
قل للجنين بكى وأجهش بالبكاء ... لدى الولادة من الذي أبكاك؟
وإذ ترى الثعبان ينفث سمه فسأله ... من ذا الذي بالسموم حشاك؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبان ... أو تحيا وهذا السم يملأ فاك؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهداً وقل للشهد من حلاك؟
بل سائل اللبن المصفى كان ... بين دم وفرث من الذي صفاك؟
وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا ... ميت فاسأله يا حي من أحياك؟
قل للنبات يجف بعد تعهد ... ورعاية من بالجفاف رماك؟
وإذا رأيت النبتة في الصحراء ... ينبت وحده فسأله من الذي أرباك؟
وإذا رأيت البدر يسري ثائراً ... أنواره فاسأله من أسراك؟
واسأل شعاع الشمس يدنو ... وهي أبعد كل شيء من الذي أدناك؟
قل للمرير من الثمار من الذي ... بالمر من دون الثمار حشاك؟
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى ... فاسأله من يا نخل شق نواك؟
وإذا رأيت الجبل الأشم مناطحاً ... قمم السحاب فسله من أرساك؟
سيجيب من في الكون من آياته ... عجباً عجاباً لو ترى عيناك
ربي لك الحمد العظيم لذاتك ... حمداً وليس لواحد إلاك
يا مدرك الأبصار والأبصار ... لا تدري له ولكنه أدراك
إن لم تكن عيني تراك ... في كل شيء أستبين علاك
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي ... بالله جل جلاله أغراك

هذا الشعر جاء معبراً عن كتاب الله ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: 35 ـ 37]، لماذا نسيتم ربكم؟ هل تظنون أنكم المسيطرون على الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ

﴿ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الطور: 38 ـ 43].

كن أخاً لهم:

لكن للأسف كفرت ثمود ونسيت ربها، انظر في سورة «هود» لترى ماذا فعلت ثمود مع سيدنا صالح، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: 11]، اسمه: صالح.

انظروا لجمال أسماء الأنبياء، نتمنى أن تكون حياتنا كلها مثل سيدنا صالح ﷺ كلها صلاح، نتمنى أن تكون حياتنا خالية من المصائب والمعاصي والكبائر، نتمنى أن تكون حياتنا كلها على اسم سيدنا صالح ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾، وكلمة ﴿أَخَاهُمْ﴾ نستفيد منها شيئاً وهو الدعوة بالحسنى.

أيها الأحبة، كونوا إخوة للناس حتى تأخذوا بأيديهم برفق وحنان، إياك أن تتعامل مع الناس وتقول لهم: أنتم لا تصلون، أنتم ضائعون، أنت تشرب، أنت ضائع، لا، بل خذ بيد الناس وتذكر كلمة: ﴿أَخَاهُمْ﴾ أحس أنك من المفترض أن تكون أخاً لهم ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: 61].

منهج واحد:

نلاحظ أن هذه نفس الآيات التي ذكرناها مع هود في الآية خمسين، ستجد نفس الجملة بالضبط ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، نفس الجملة بالضبط ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، إذن منهج الأنبياء كلهم واحد هو حلقات تكميلية هذا ليس تكراراً في الآيات، إياكم أن تظنوا أن هذا تكرار، لا هذا تأكيد للمعنى والقيمة الأساسية وهي أن تصبح عبداً لله ليس لك إله ولا حبيب غيره، الهدف هنا هو تأكيد العبودية لله.

لدواعي اللغة:

كلمة قوم تشمل الرجال والنساء وسنلاحظ في القرآن أمراً غريباً جداً، وهو أنه لما يتكلم على الثواب، يتكلم بصيغة المذكر والمؤنث وعندما يأتي بالتكليفات يتكلم بصيغة المذكر فقط على أساس أن المرأة داخلة تحت هذا الكلام، انظر في آيات الثواب: ﴿إِنَّ

ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35]، ذكر وأنثى، ولما يتكلم عن الأشياء الذي فيها ثواب والأشياء العظيمة يذكر الاثنين وهذا تشريف وتكريم للمرأة فلا تقولي: إن الرجال فقط هم الذين ذكروا في القرآن إنما هذا لدواعي اللغة.

مثاب أنت عليها:

انظروا إلى معنى هذه الآية الكريمة: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: 61]، كلمة ﴿أنشأ﴾، بمعنى: أوجد من العدم، من المنشيء؟ الله تبارك وتعالى، من المبدي؟ الله الذي يفعل الشيء من العدم، من الذي يفعل الشيء بدون سابق مثال وبدون تقليد، يعمل الشيء بدون سابق ترتيب على خبرات أخرى؟ هو ينشيء من العدم بأفضل ما يكون دون الاحتياج لمادة لينشيء منها ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

لاحظوا يا أخوة، أول ما تسمع أو تقرأ (است) الألف والسين والتاء في أول الفعل تعرف على الفور أنه يأمرك، يعني: لما يقول لك: استعمركم تماماً كأنه يقول لك: استخرج استعمر، استخرج بمعنى: طلب الإخراج، استعمر هي طلب التعمير فاستعمركم، أي: أمركم أنتم أن تعمروا الأرض، إذن كلمة استعمركم معناها: تأكيد على أهمية العمل وأنه جزء من الدين بنص هذه الآية، يعني: أن تعمل مشروعاً في سيناء وتخضر سيناء مثلاً وتزرعها وتبني فيها مصانع هذا من الدين، أن تنشيء فكرة جديدة تستفيد منها البشرية هذا دين، لو إنسان اخترع آلة هل يأخذ عليها ثواباً؟ نعم، لو نيته أن يعمر الأرض لله.

احذر هذا السقوط:

إن كل تعمير للأرض بنية إرضاء الله تعالى أنت مثاب عليه، انتبهوا هذا المعنى مهم جداً، حتى لا يقول الشباب: أريد أن أصبح متديناً، فيسقط؛ لأن ما يفعله أنه يريد أن يصبح متديناً وليس مُهماً أن تكون رائحته جميلة مثلاً، يا شباب تعلمك للكمبيوتر لو بنية الإصلاح في الأرض وهداية الناس تثاب عليه.

تخيل أنك تعمل على الكمبيوتر وتأخذ ثواباً، تعلمك الإنترنت طالما ستبتعد عن الحرام الذي يوجد عليه تثاب عليه، تعلمك لغة من اللغات تثاب عليها، أن تتدرب تدريباً صيفياً

بنية أن المسلم عليه أن يكون ناجحاً في حياته تثاب عليها، أن تكون من الأوائل في كليتك أيضاً عمل تثاب عليه.

ان كل شيء فيه اعمار للأرض بنية فإن المسلم يأخذ عليه الثواب، أرجوك أيها الشباب المسلم، اخرج من ذهنك ان الدين هو أن أصلي واذهب للمسجد، الدين يعني كل حياتك، الدين أن تصحو من النوم وتسرح شعرك وتذهب للمسجد وتقبل يد أبيك وأمك، ثم تعود للسرير وتقول اذكار النوم والدين هو أن تتعلم مهنتك، لأن الله يحب المؤمن المحترف.

تب الآن، لتكن حبيب الرحمن:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾، انتبهوا أنه ذكر كلمة: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾، ثم كلمة: ﴿تُوبُوٓاْ﴾، فالمقصود كلمة: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾، الندم على الذي مضى، استغفروه معناها: طلب الغفران على ما مضى، ثم توبوا إليه أي: العزم على عدم العودة في المستقبل، ومن هنا جاءت شروط التوبة وهي ثلاثة شروط، وأنا أذكرها كثيراً تذكيراً بها، فمهما كان الذنب الذي فعلته، شربت خمراً، زنيت، فعلت وفعلت، مهما فعلت فلا يوجد هناك ذنب يستحيل معه التوبة ويُمسح فوراً، قد يكون هناك إنسان قد ارتكب معصية شديدة، وهو الآن حبيب الرحمٰن لو تاب إليه، ويمسح كل الذي مضى، لو أنا تبت وقلت: يا رب، من اليوم سأبدأ صفحة جديدة، وسأبدأ معك عبداً مؤمناً بالتدريج، وخطوة خطوة، سأترك المعاصي، وسأُقْبِلُ عليك، وقلبي طائعٌ إليك، سأعيش عبداً لك وسامحني على الذي مضى، هل تصدق أن كل الذي مضى مسح؟ يا إخوتي، أنا لا أمزح كل العشرين سنة مسحوا، انوِ التوبة الآن يا أخي، وإياك أن تقول: أنا متدين، أنا لا أحتاج إلى التوبة، كلنا محتاجون للتوبة وأنا أولكم؟ كلنا محتاجون لأن نتوب.

شروط التوبة:

شروط التوبة ثلاثة: **أولاً**: الندم بمعنى: أن قلبك فيه حرقة ووجع، كيف عملت في حق الله كل ذلك وهو يراني؟ سامحني يا رب. **الشرط الثاني**: ويتمثل في هجر المعصية ولزوم الصحبة الطيبة. **الشرط الثالث**: العزم على عدم العودة للذنب ثانية.

يا أخي، هل تستطيع أن تعزم الآن على عدم العودة إلى الذنب؟ وتعلق بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾، قريب بمعنى: أنه يراك هل تبت أم لا؟ فهو قريب جداً منك، يعلم أن بداخلك صراعاً، لا تستطيع أن تتوب من هذا الذنب، ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ [هود: 61]، يراك

ويرى قلبك، فقلبك مفتوح أمامه، تاب أم لم يتب، وكلمة: ﴿مُّجِيبٌ﴾، يعني: لو أن القلب تاب حقاً سيقبل التوبة والذي يتوب منكم الآن يا إخوتي فتوبته بإذن الله مقبولة.

إياك أن يضحكوا عليك:

انظروا ماذا قالوا له: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ [هود: 62]، هذه الآية في منتهى الخطورة ما معنى: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ قالوا: يا صالح، نحن كنا نحبك، ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾، أما الآن فلا نحب أن نجلس معك؛ لأنك تغيرت يا صالح، نحن لن نصاحبك، نحن غاضبون منك، أنت ستفسدنا، هذه النقطة تحدث مع شباب كثيرين عندما يلتزمون، مثلاً هي ارتدت الحجاب، وذهبت مع أهلها لتصيف في الساحل الشمالي، وتبدأ صاحباتها يقلن لها: ما هذا الذي ترتدينه؟ هل هناك من يلبس هذا في الصيف؟ من قبل كنت تنزلين البحر ما الذي غيرك؟ ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾، إياك أن يضحكوا عليكِ، هذا ما حدث مع سيدنا صالح عليه السلام، وحدث مع النبي ﷺ أيضاً، كانوا يقولون عنه: الصادق الأمين، وبعد الدعوة قالوا عليه: الساحر، المجنون، الكاهن، الدجال، لكن هل تأثر؟ المهم أن الله راضٍ عنه، أنا أرتدي الذي يرضي الله. إياكِ أن تتأثري، إياكِ أن تخجلي من أمر ربك، إياك أن يأمرك الله بشيء، ولا تفعلينه؛ لأنك تخجلين من كلامه، امشِ مرفوعة الرأس، معتزة أنك محجبة لله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ تذكري حديث رسول الله ﷺ: «**من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس**»[1]، هل تصدق رسولك أم لا؟ نعم أصدقه.

علاج الوساوس والشكوك:

قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾، نصيحة يا شباب: لو شعرت في لحظة أن لديك شك في أي شيء ادع الله وقل: لا إله إلا الله آمنت بالله، فكثير من الشباب يقول: أنا لما كنت أعصي لم تكن عندي أي شكوك في أي شيء، وذلك لأن الشيطان كان مستريحاً منك فلماذا يشكك؟ ولكن مع التدين تبدأ الشكوك من الشيطان؛ لأنك بدأت تضع قدميك على طريق الله.

وللخروج من ذلك احفظ معي هذه الوصايا:

---

(1) ذكره **الزبيدي** في «إتحاف السادة المتقين» (6/ 139).

1 ـ عندما يوسوس لك الشيطان قل: لا إله إلا الله آمنت بالله.

2 ـ اعرف أن هذا دليل على إيمانك.

3 ـ استمر على ما أنت عليه وإياك أن تقلل طاعتك.

4 ـ ادع وقل: يا رب، حببني في الإيمان، يا رب، اصرف عني الشيطان، اصرف عني الشيطان.

5 ـ كلما فعل الشيطان معك ذلك تصدق صدقة صغيرة، لماذا؟ حتى يوقن الشيطان أنه كلما سيوقعك في معصية كلما ستعمل طاعة فتأخذ ثواباً وحسنات، فبعد فترة سينصرف الشيطان عن الوسوسة عنك، واجعلها صدقة صغيرة حتى تستطيع أن تداوم عليها.

دين واحد:

يقول تبارك وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: 141]، فهل ثمود كذبت المرسلين أم سيدنا صالح فقط؟ بل المرسلين؛ لأن الدين واحد، فالذي كذب صالحاً كأنه كذب كل الأنبياء، ومن كذب محمداً وموسى وعيسى فكأنه كذب الأنبياء كلهم؛ لأن دين الله واحد، ولأن الرسل كلهم مصدرهم واحد، فهذا معنى جميل جداً في القرآن.

انظر لشؤم المعصية:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء: 142 ـ 145]، وبدأ يقول لهم: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾ [الشعراء: 146، 147]، انظروا إلى الجزيرة العربية كيف كان شكلها؟ كان فيها جنات وعيون، هذه هي الجزيرة العربية وفي هذا الوقت كانوا يعيشون في رخاء، لاحظوا كيف أن المعاصي تقلب الدنيا؟

مثلها كمثل المؤمن:

يقول الله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الشعراء: 147، 148]، زروع ونخل، أليس النخل جزءاً من الزرع فلماذا ذكر النخل؟ لأن النخل يذكرنا بصفة مهمة جداً، أنه في أحد المرات عمل النبيّ ﷺ مسابقة وقال: «**من الشجر شجرة مثلها كمثل المؤمن**»، فطفق الصحابة يفكرون ويفكرون ولا أحد يعرف الحل، والذي عرف الحل هو سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ فقط ولكنه خجل أن يقول الحل احتراماً لكبار الصحابة فسكت، فلما قال النبيّ ﷺ: «**هي النخلة**»، قال عبد الله بن عمر لعمر بن

الخطاب: يا أبت، كنت أعرفها، قال عمر: فما الذي أسكتك؟ قال: استحييت من كبار الصحابة قال: والله لو قلتها لكان هذا أفضل عندي من ملء الأرض[1].

احذر حتى تكون مؤمناً:

لكن لماذا النخل؟ لأن كلها خير، انظر إلى تمرها يستخدم في الطعام وفي المكانس وفي الحبال، والجذع يستخدم في صناعة الأعمدة وسعفها يستخدم في أعمال الخوص وكذلك المؤمن كله خير، والله هذا المعنى حلو جداً، النبيّ ﷺ يقول على المؤمن: «**أينما حل نفع**»، مكان ما يحل ينفع، لو أنك لست كذلك فالإيمان عندك ضعيف، عرفتم لماذا ذكر النخل في الآية؟ لأن فيه التذكرة بقيمة الإيمان. أرأيتم العلاقة بيننا وبين النبات؟ هذا الكون كله جزء واحد، النبيّ ﷺ علمنا عندما نرى القمر أن نقول: «**ربي وربك الله**»[2]، انظر العلاقة بينك وبين القمر وبينك وبين النخل، نحن الاثنان مؤمنان، المؤمن كله خير، إياك ألا يكون فيك خير لأهلك أو تكون ضاراً بمجتمعك أو تؤذي جيرانك، أو تكتب اسمك على الحيطان، أو تشوه أي شيء فتكون غير مؤمن، هذا يا إخوتي دين فمجرد أن تشوه أي شيء في المجتمع فهذا ليس ديناً، والذي يؤذي جاره وأصحابه ليس مؤمناً، فالمؤمن كله خير أينما حل نفع.

إعجاز علمي قرآني:

قال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ ما معنى ذلك؟ انظروا القرآن من ألف وأربعمائة سنة يقول: إن أكثر شيء يفرز (إنزيمات) تعين على الهضم: التمر، ليس هاضمة فقط بل هضيم أي: شديد الهضم، ويأتي العلم الحديث بعد ألف وأربعمائة سنة ويكتشف أن أكثر غذاء يعين على الهضم هو التمر، هل عرفتم لماذا علمنا النبيّ ﷺ أن نفطر على تمر؟ سنة النبيّ كلها خير.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: 149]، هؤلاء الناس كانوا قد وصلوا لحضارة مثل حضارة عاد ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: 9]، يبنون بيتاً من الصخور، ونحن عندنا حضارة لا مثيل لها، ووصلنا لتكنولوجيا عالية جداً، وهم في عصرهم كانوا أعظم منا وأبيدوا لما ضلوا عن سبيل الله.

---

(1) أخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 12/ 410).

(2) أخرجه **الدارمي** في (الحديث: 2/ 4)، وأخرجه **ابن السني** في «عمل اليوم والليلة» (الحديث: 638)، وأخرجه **الهندي** في «كنز العمال» (الحديث: 18042).

سيدنا صالح وفن الدعوة:

وبدأت الاتهامات تتوالى على سيدنا صالح عليه السلام، مرة يقولون له: أنت مسحور، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾، ومرة يقولون له: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، ومرة يقولون له: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: 47]، ومرة يقولون عنه: ﴿ءَأُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القمر: 54].

انظروا لهذا الكلام الشديد، فيرد الله عليهم ويقول: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر: 26]، كمية اتهامات شديدة، فلا تحزن من كثرة الاتهامات وانظر إلى رقة سيدنا صالح عليه السلام وهو يرد عليهم: ﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 46]، الحقيقة رقة سيدنا صالح عليه السلام وهو يدعو رقة عجيبة جداً، قال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [هود: 63]، انظر وهم يقولون له: إنما أنت من المسحرين، أنت مسحور وهو يرد عليهم برقة: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾، هم يشتمون ويؤذون سيدنا صالح عليه السلام وهو يرد عليهم برقة.

عناد وجحود:

ثم بدأ الأمر يصل لمرحلة شديدة وهنا تحدوه قالوا له: يا صالح، ألست تقول إنك نبي؟ نريد آية لو كنت صادقاً: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء: 154]، وأحبوا أن يضحكوا ويستهزؤوا، قالوا له: بشرط أننا نحن الذين نختار الآية، فقال لهم: إن اخترتم وجاءكم ما تريدون أفتؤمنون قالوا: نعم، قال: أتقسمون بالله؟ قالوا: نقسم لئن جئتنا بالآية التي نختارها فسنؤمن لك، قال: فاختاروا ما شئتم وهم يضحكون وليسوا جادين، قالوا: انظر إلى هذه الصخرة الكبيرة، قال: نعم، قالوا: مرها أن تنشق وتخرج منها ناقة عظيمة - إنه كلام ساذج - بل ونريد أن تخرج هذه الناقة حاملاً في الشهر العاشر على وشك الولادة، وأن تكون حمراء، وأن تكون غزيرة الصوف، وأن تكون أكبر ناقة خلقت يوم خلق الله تبارك وتعالى الكون ليس لها مثل، ضخمة جداً.

انتبه لو جاءت إليك الآية وكذبت فهذه كارثة، وانظروا إلى هذه الطلبات العجيبة، فقال لهم صالح برقة المؤمن: إن جاءتكم تؤمنوا؟ قالوا: نعم، قال: فاجمعوا الناس، ووقفوا ووقف سيدنا صالح عليه السلام وبدأ يدعو الله وأمر الصخرة أن تنشق فتزلزلت الصخرة وانشقت

وخرجت منها ناقة حمراء! لا إله إلا الله يا إخوتي، الله بيده ملكوت كل شيء فلا تستغربوا كل شيء بيده، لو قلبك قاس يقدر أن يلينه الآن، لو عينك جامدة لا تبكي من خشية الله تنزل الدموع الآن، لو المعصية تملأ قلبك تدعوه يخرج المعصية من قلبك مثلما تخرج الشعرة من العجين، إله عظيم، إله قادر على أن يخرج الناقة من الصخرة غزيرة الصوف وحاملٌ في الشهر العاشر ما رؤي مثلها في الوجود حتى اليوم ولا وجد في التاريخ في حجمها، فإذا بهم يقولون: أنت ساحر يا صالح، لن نؤمن لك، هذا سحر، قال: ألم آخذ عليكم العهود والمواثيق؟

الفتنة:

قالوا: إذن اتركها بيننا فترة لنتأكد أنه ليس سحراً. فالسحر بعد قليل سيزول، وبقيت الناقة بينهم، وأخذت كل يوم تمشي لتشرب من بئر مائهم فلم يستطع أحد أن يقترب من البئر إلا في يوم ثانٍ، إلا أن الناقة كانت تذهب كل يوم وتشرب ماء البئر كله لوحدها فلا يبقى لهم من الماء شيئاً. اعلموا أن الفتن تأتي بهذا الشكل، الناقة مستقرة عند الصخرة التي طلعت منها، انظروا آية الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أين الفتنة في ذلك؟ هم متضايقون؛ لأنهم لا يشربون كل يوم.

إعراض شديد:

أصبحت الناقة تمنعهم أن يشربوا كل يوم، فبدأت أحوالهم الاجتماعية تضطرب وبهائمهم لا تشرب في يوم وهم لا يشربون في يوم، فبدأ يصيبهم الضجر الشديد بسبب الناقة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: 72، 82]، وبعد كل ذلك كم عدد الذين آمنوا مع سيدنا صالح؟ قليل القليل والغالبية كافرة شديدة الكفر، ليس ذلك فقط؛ بل اتفقوا على أن يذبحوا الناقة، وولدت الناقة وجاء ابنها على شكلها تماماً، وكانوا يحلبونها كل يوم، وتشرب أمامهم من الماء وظلت معهم زمناً، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 59]، الناقة مبصرة ليس الناقة هي المبصرة إنما الآية هي الواضحة ومبصرة والسبب في تكذيبهم هو الكِبر والغطرسة.

أمر يخصك:

انتبهوا أن في قصة الناقة هذه أمر يخصنا وهو أن الله يرسل لك آيات فهل آمنت بها أم تجاهلتها؟ شخص صديق عزيز مات وهو في ريعان الشباب، الشبان الذين يموتون في

حوادث السير شيء غريب جداً، يا إخوتي، إنها من الآيات المبصرة، إن نسبة الموت بين الشبان زادت نسبتها كثيراً في السنوات الأخيرة.

الإحصاءات تقول: ان نسبة الموت بين الشباب في آخر خمس سنين اضعاف نسبة الموت بين الشباب في العشرين السنة الماضية.

الأمر الثاني نسبة الذين يموتون وهم يعصون ليست قليلة انتبهوا يا شباب، فهذا شيء مخيف، نحن نضحك على قوم صالح ونضرب كفاً بكف ونقول: كيف لم يؤمنوا؟ وهناك آيات كثيرة وواضحة تأتي إليك ولا تستجيب لها فخذ حذرك.

ناقة صالح لم تكن حالة طارئة أو وقتية، ناقة صالح تتكرر في كل زمان ومكان، لكل انسان على حدة لكن العيون غافلة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

المؤامرة:

وظلت الناقة بينهم حتى ضاقوا بها فقرروا عقر الناقة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس: 11، 12]، ما معنى: ﴿ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: الذي قتل الناقة هو الأشقى بينهم والأسوأ، يقول النبيّ ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ: «**يا علي، أتدري من أشقى الناس؟**»، فقال: من يا رسول الله؟ فقال: «**الرجل من ثمود الذي عقر الناقة والذي يقتلك يا علي**»[1].

عبد الرحمٰن بن ملجم الذي قتل سيدنا علي ﷺ في صلاة الفجر يوم الجمعة في السابع عشر من رمضان، انظر الميعاد: يوم الجمعة من رمضان وفي صلاة الفجر وهو ذاهب ليصلي بالناس إماماً بعدما قام الليل، يُضرب بالسيف في وجهه ويموت علي بن أبي طالب ، وكان قد سُمع قبل مقتله بيومين للديكة والطيور التي في بيت علي صياح، فقامت زوجته وأهل البيت يسكتون الطيور فقال علي: دعوهم إنما هم نوائح، قالوا له: كل، قال: أحب أن ألقى الله وبطني خاوية، وكان قد رأى عبد الرحمٰن بن ملجم قبل أن يقتله بيوم، فكان يعرف أنه سيقتله، عرف ذلك من عينيه: «اتقوا فراسة المؤمن» فأول ما رآه قال:

اشـــدد حـــيـــازيـــمـــك لـــلـــمـــوت ... فـــــإن الموت لاقـــــيـــــك

(1) ذكره **الهيثمي** في «مجمع الزوائد» (7/ 14)، وذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (الحديث: 2/ 276)، وذكره **ابن سعد** في «الطبقات» (3/ 1/ 23).

أم تجـــــــــزع مـــــــــن الموت إذا حـــــــــل بـــــــــواديـــــــــك

ثبت نفسه وقُتِل ﷺ وأرضاه.

وذُبحت الناقة!

المهم كيف قتلها وكيف تجرأ أن يقتلها وهي ناقة عظيمة؟ الآية تقول: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر: 54]، ما معنى تعاطى؟ تعاطى جاءت من تعاطي الخمر أي: أنه ما كان ليقدر أن يقتلها وهو واعٍ، كان لا بد أن يكون مغيب العقل، لذلك من أعظم الذنوب التي تغضب الله شرب الخمر يقول النبيّ ﷺ: «**الخمر أم الكبائر**»[1]، انتبه للآيات المبصرة التي أرسلها الله إليك، هناك أناس ماتوا وهم يشربون الخمر، هل أنت متخيل خطورة أنك تبعث على ذلك؟

وذبحت الناقة وذبحوا وليدها وهم يذبحونه ظل يخور ثلاث مرات ويرفع صوته، ولذلك كان عقابهم بعد ثلاثة أيام، ذبحوها وبدؤوا يشوون لحمها وجمعوا القرية كي تأكل من هذا اللحم وبدؤوا كلهم يأكلون اللحم ويشربون الخمر ويضحكون، ولم يقتصر الأمر بهم على ذلك ـ انظروا الذنوب التي تتوالى ـ بل اتفقوا على قتل صالح وأرسلوا تسعة من رجالهم ليقتلوه، والعجيب أن الذي أرسل التسعة امرأتان ضحكوا على التسعة بوسيلة الإغراء، قالوا لهم: لو قتلتم صالحاً نمكنكم من أنفسنا، كان يوجد امرأتان في البلد شديدتا الكراهية لسيدنا صالح وكانتا شديدتا الجمال، انظروا فتنة النساء، اجتمع التسعة في قتل سيدنا صالح إلا أن الله نجاه وماتوا جميعاً، وقبل ذلك حين خرج سيدنا صالح عليه السلام وجد كل البلد تشرب الخمر، والبلد كلها تشوي لحم ناقة الله ووليدها.

هل تحس بالغيرة على هذه الناقة ناقة الله؟ كيف بحدث فيها ذلك؟

تمتعوا في داركم ثلاثة أيام:

جاء سيدنا صالح ورآهم يأكلون اللحم ويشربون الخمر فقال لهم عليه السلام: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب، بعد ثلاثة أيام من هذا اليوم سينزل العذاب، وأخذ المؤمنون معه وانصرف عنهم ومشى بعيداً، وهو ماشٍ لا زالوا يضحكون ويسخرون عليه وعلى من معه ويقولون له: يا صالح، آتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين، ويخرج سيدنا

---

(1) أخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (11/ 164)، وذكره **الهيثمي** في «مجمع الزوائد» (5/ 67، 729).

صالح، ويخرج المؤمنون، ويبدأ العذاب ثلاثة أيام قبل الإهلاك، **اليوم الأول**: اصفرت الوجوه، البلد كلها استيقظت فوجدوا وجوههم صفراء، فتعجبوا من أين جاءت هذه الصفرة؟ وفي **اليوم الثاني**: وجدوا كل الوجوه حمراء كحمرة لهيب النار، فبدؤوا يخافون: أين صالح؟ لقد اختفى، وفي **اليوم الثالث**: وجدوا كل الوجوه سوداء كقطع الليل المظلم، فبكوا وأيقنوا بالهلاك وبدؤوا يحفرون قبورهم.

يا إخواني، انظروا: لقد أمهلهم الله كثيراً وأعطاهم فرصاً كثيرة وأنت أيضاً أخذت فرصاً كثيرة فإياك والإصرار على المعصية، تعصي فيستر تعصي فيستر فتعصي فيأخذ بيدك فتعصي فيتركك فتعصي فيأخذك فإذا أخذك لم يفلتك.

ونزل العذاب:

وبعد مضي الأيام الثلاثة بدأ العذاب بأشكال وألوان، تجد القرآن مرة يقول لك: صيحة ومرة يقول لك: صاعقة ومرة يقول لك: رجفة، رجفة: ـ يعني زلزلة ـ صاعقة يعني: صاعقة صدمة كهربائية، فبعد الأيام الثلاثة وبعد أن أصبحت وجوههم سوداء بدأ الإهلاك على ثلاثة مراحل: **المرحلة الأولى**: رجفت الأرض كلها وتزلزل كل ما فيها من خضرة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: 78]، جاثمين لم يعودوا قادرين على أن يقفوا على أرجلهم؛ لأن الأرض تهتز فجسوا على الركب، انتبه أن يوم القيامة ستكون الوقفة على هذا الحال ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: 28]، لا أمان إلا للمؤمنين، والجاحدون كلهم واقفون على ركبهم لا يستطيعون الوقوف، استمرت الرجفة يوماً كاملاً والأرض تهتز بهم وهم لا يموتون، وما إن انتهت الرجفة حتى جاءهم الله بصاعقة تزلزلهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الذاريات: 43]، ثلاثة أيام، ﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الذاريات: 44، 45]، شلت الأقدام بعد الصاعقة، صاعقة أصابت كل الجزء الأسفل، ثم جاءتهم الصيحة.

اعلموا أن أيام الغضب شديدة ومخيفة، جاءت الصيحة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: 67]، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر: 31]، تبدأ آيات القرآن تحكي عما حدث لهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ﴾ [الشمس: 11 ـ 14]، انظر

كلمة: ﴿فَدَمْدَمَ﴾، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ أصبحت قريتهم والأرض سواء.

ولذلك فإن النبيّ ﷺ عندما خرج من غزوة تبوك مر على ديار مدائن صالح، دخل في وسط الحجر، وكان الجيش قد سبقه، فأول ما دخلوا ديار ثمود وجدوا بئراً فأخذوا يخرجون منه الماء ليشربوا، وبدؤوا يخبزون من مائه ويضعون الماء في القدور، فجاء النبيّ ﷺ فوجد نفسه داخل ديار ثمود فقال: «**ما هذا! اكفؤوا القدور فلا تشربوا من هذه المياه ولا تأكلوا من هذا الطعام**»، قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: «**إنكم تمرون بقوم عذبوا فلا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا باكين**»[1].

يا إخوة، كم سنة بين ثمود وبين النبيّ ﷺ؟ آلاف السنين ولكن شؤم المعصية باق، عرفتم لماذا بيوتنا مشتعلة بالنيران ونحن متعبون، كل ذلك بسبب المعاصي التي سبقتنا منذ آلاف السنين.

شؤم المعصية ستحسه بنفسك: في قلة رزقك، شؤم المعصية ستحسه في نفسك باكتئاب في قلبك وضيق في صدرك، شؤم المعصية ستحسه في نفسك بضعف في بدنك وأمراض وأوجاع، نحن نذكر قصص الأنبياء حتى نتعلم وننجو وينصلح حالنا.

مرّ النبي ﷺ ذات يوم وهو في طريقه إلى الحج على وادٍ اسمه: وادي عسفان، فقال النبيّ ﷺ لأبي بكر: «**أي وَاد هذا يا أبا بكر؟**» قال: هذا وادي عسفان، فقال النبيّ ﷺ: «**لقد مر به هود وصالح يلبيان ويحجان البيت العتيق**»، رواه مسلم[2]. سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام *حجا قبلنا إلى البيت الذي نحن نحج إليه، وقالوا: لبيك اللهم لبيك مثلما نحن نقول، حاول أن تستشعر الرابطة القلبية بينك وبين سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام.*

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3155)، و(الحديث: 4220)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 4986)، و(الحديث: 4987)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 4350).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 419)، و(الحديث: 420).